رابعا-البحـــث العلمـــــي

1-مفهوم البحث العلمي:

أ-المفهوم اللغوي للبحث العلمي:

لغة عبارة " البحث العلمي " تتكون من كلمتين: " البحث " و " العلمي ":

فكلمة " البحث " مردها لغة إلى الفعل الماضي " بحث " والذي يعني:

تقصي وطلب وفتش وتحرى وتتبع واكتشف ... وغيرها من المرادفات اللغوية.

-أما كلمة " العلمي " فهي منسوبة إلى العلم الذي هو ضرب من المعرفة البشرية و الذي يتصف بخصائص تميزه عما سواه من المعارف: من وضعية وموضوعية ودقة وغيره مما شأنه أن يميز العلم عن اللاعلم.

وبالتركيب بين مدلول الكلمة الأولى " البحث " ومدلول الكلمة الثانية "العلمي " تصبح عبارة " البحث العلمي " تعني لغة: التقصي و التفتيش و التتبع لموضوع هو موضوع العلم ووفق قواعد وشروط هي الأخرى حكرا على العلم .

ب-المفهوم الاصطلاحي للبحث العلمي:

بالنسبة للبحث العلمي فقد ظهرت تعريفات لا حصر لها لمفهومه معظمها يدور حول فكرة واحدة تؤكد أنه وسيلة للاستقصاء الدقيق والمنظم ، يقوم بها الباحث لاكتشاف حقائق أو علاقات جديدة تساهم في حل مشكلة ما، وسوف نستعرض بعضها في مايلي :

- يعرف البحث العلمي على أنه " نشاط علمي منظم وطريقة في التفكير وأسلوب للنظر في الظواهر و الكشف عن الحقائق، معتمدا على مناهج موضوعية من أجل معرفة الارتباط بين هذه الحقائق ثم استخلاص المبادئ العامة والقوانين العامة أو القوانين التفسيرية".

كما يعرف البحث العلمي بأنه :"التقصي المنظم بإتباع أساليب ومناهج علمية محددة للحقائق العلمية بقصد التأكد من صحتها وتعديلها أو إضافة الجديد لها "

– البحث العلمي هو:" تقصي المعلومة بالمعلومة وتتبع دقيق لمكامنها وظواهرها يستوجب التوقف عند كل متغير من المتغيرات التي تؤثر فيها أو تتأثر بها ،وهو تنقيب عن الفكرة بالفكرة عندما تكون المعلومة مجردة ، وتنقيب في الميادين عندما تكون المعلومات متجسدة أو منعكسة في القول والفعل والعمل والسلوك ،وتنقيب في المادة في المعامل والمختبرات ، ولكل قياساته واختباراته الموضوعية ..."

– البحث العلمي " نشاط علمي يتقدم به الباحث لحل أو محاولة حل مشكلة قائمة ذات حقيقة معنوية أو مادية ،أو لفحص موضوع معين واستقصائه من أجل إضافة أمور جديدة للمعرفة الإنسانية ،أو لإعطاء نقد بناء ومقارنة معرفة سابقة بهدف تقصي الحقيقة وإذاعتها بين الناس ، والبحث العلمي تحرك منطقي من المعلوم إلى المجهول بهدف اكتشاف حقائق جديدة ،أو تفهم أفضل للمجهول أو لتوظيف المعارف السابقة والطرق المألوفة للتعرف على المجهول ، والبحث العلمي نشاط تعليمي لتعريف المسائل وإعادة تعريفها وصياغة الفرضيات واقتراح الحلول وجمع البيانات وتنظيمها وتقويمها وإجراء الاستدلالات والتوصل إلى نتائج ، واختبارها بعناية ، وهو إضافة جوهرية لكم المعلومات الحالية بهدف تحسينها من أجل التوصل للحقيقة بمساعدة الدراسات والمشاهدات والمقارنات والتجارب "

– البحث العلمي طريقة منظمة أو فحص استفساري منظم لاكتشاف حقائق جديدة ، والتثبت من حقائق قديمة ، والعلاقات التي تربط فيما بينها أو القوانين التي تحكمها

– ونعني (بالبحث العلمي) عادة أي نشاط بحثي يستخدم المنهج العلمي، فهو " استقصاء دقيق ومنظم لظاهرة ما باستخدام المنهج العلمي بتقنياته المختلفة الكمية و الكيفية، وذلك بهدف اكتشاف حقائق وقواعد عامة يمكن التحقق منها مستقبلا، ويمكن الاستفادة منها في الحياة العلمية و العملية ".

و البحث وفقا لـ " صابينو "، عبارة عن " الجهد المبذول من أجل حل مشكلة معرفية "، ومن وجهتهما يعرفه كل من " سيرفو وبرفيان " بأنه: " أي نشاط يهدف إلى حل المشاكل أو إيجاد أجوبة على أسئلة من خلال استخدام إجراءات علمية ".

فالبحث إذن، من وجهة النظر العلمية البحتة عبارة عن" إجراءات منهجية منتظمة تهدف إلى حل مشكل معرفية أو الإجابة على أسئلة علمية، من خلال إنتاج معارف جديدة"

على الرغم من تعدد التعريفات للبحث العلمي ، وعدم اتفاق الباحثين على تعريف محدد ...فإنها جميعا تشترك في النقاط التالية :

– أنه محاولة منظمة (تتبع أسلوبا أو منهجا معينا ولا تعتمد على الطرق غير العلمية).

– يهدف إلى زيادة الحقائق والمعلومات التي يعرفها الإنسان وتوسيع دائرة معارفه ، ليكون أكثر قدرة على التكيف مع بيئته والسيطرة عليها.

– يختبر المعارف والعلاقات التي يتوصل إليها ولا يعلنها إلا بعد فحصها، والتأكد منها بالتجربة.

– يشمل جميل ميادين الحياة وجميع مشكلاتها ويستخدم في جميع المجلات على حد سواء.

ج– تعريف البحث العلمي الاجتماعي :

إذا كان البحث العلمي بمفهومه العام يشمل كل مجالات الكون بشقيها الطبيعي والبشري من حيث هي مجال البحث ، فإذا خصصناه بالاجتماعي (البحث العلمي الاجتماعي) فانه رغم اشتراكه نسبيا مع البحث العلمي "الطبيعي" في استخدام المنهج العلمي ، فانه يتميز عنه بكون ميدانه وموضوعاته تكون أساسا ذات طابع اجتماعي وإنساني.

فهو عبارة عن عملية إنتاج معرفة علمية حول أنساق وتغييرات الواقع الاجتماعي ، باستخدام نماذج نظرية واستراتيجيات وإجراءات منهجية ، ومن أشهر ما عرف به ،أنه:" الملاحظة المنظمة والتسجيل المنظم للسلوك الإنساني الذي يمارس داخل الأنساق الاجتماعية ،وذلك من أجل تطوير نظريات اجتماعية جديدة تفسر هذا السلوك ،أو اختيار وتمحيص نظريات اجتماعية قائمة فعلا "

وهو يتميز بالخصائص الآتية :

– أنه تراكمي ، يعترف بالسوابق البحثية أي لا ينطلق من عدم

– يتطلب رصيد قاعدي : نظري ومنهجي

– يطرح هواجس وافتراضات

– يعترف بعدم وجود معايير موحدة لمقاربة مشكلة أو موضوع موحد

– الحركية أو الديناميكية

– ينتقل من المجرد (النظري) إلى المحسوس (التطبيقي) ، والعكس بالعكس (مع استمرارية الجدل حول ذلك) ، وهذه العملية تتطلب إتباع خطوات مناسبة

2– تاريخ البحث العلمي الاجتماعي:

نشأ البحث الاجتماعي بالرغم من كونه ظاهرة معاصرة، من التزاوج بين تقليدين

– النظرية الاجتماعية التي تعود بجذورها إلى بداية الفكر الإنساني وتطورات بشكل بارز لدى اليونان.

– والبحث التجريبي الذي بدأ تطبيقاته في أوربا خلال القرن التاسع عشر.

فقد تطورت النظرية الإجتماعية بصورة خاصة لدى اليونان، وكان كل ما يتعلق بالبحث مجهولا، بالرغم من أن " أرسطو " قد جمع المعلومات عن الأنظمة السياسية في المدن اليونانية وحصل " بوليب " على بعض المعلومات عن تطور الإمبراطورية الرومانية من خلال طرح الأسئلة على بعض الأشخاص ممن لديهم معلومات حول الموضوع.

وبصفة عامة يمكن القول أن المنظرين الأوائل قد اكتفوا بالأبحاث المكتبية وبمصادر الدرجة الثانية أو بأفكارهم و معلوماتهم الذاتية من أمثال " بودان " و " مونتسكيو " و " روسو " و" لوك " و غيرهم،ومع ذلك وجدت بعض الاستثناءات التي مثلت البوادر الأولى لنشأة البحث العلمي، فقد استخدم " آدم سميث " في كتابه " ثروة الأمم " الإحصاءات، واستعان ببعض المعطيات الإقتصادية، وجمع "مالتوس " معطيات سكانية ونشرها في كتابه " مقالة عن السكان ".

وظل الرواد الأوائل في مختلف العلوم الإجتماعية بوجه عام يحجمون عن البحث العلمي الميداني ولم يعيروه أدنى اهتمام، و الأكثر من ذلك فإن بعضهم قد ذهب إلى الاعتماد على أفكارهم الذاتية دون سواها واعتبروا آراء الآخرين غير علمية وليست جديرة بالدراسة و البحث، فقد

ذهب " أوغست كونت " في أوج مجده عن عزمه على عدم قراءة أي كتاب غير كتبه معتبرا ذلك من ضرورات الوقاية الفكرية، وتعتبر دراسة " دوركايم" عن الانتحار المنشورة سنة(1895) جديرة بان نطلق عليها بحثا علميا.

-فالموضوع محدد في مشكلة اجتماعية: هي الانتحار.

-وقد اعتمد في جمع البيانات على المحفوظات الوطنية و التحقيقات ووقائع سابقة تتعلق بالمعنيين، مأخوذة من الجهات المعنية (الشرطة، المحاكم، المستشفيات).

- كما ربط الموضوع بإطار نظري هو نظريته حول الضمير الجمعي.

- وانطلق في بحثه من فرضيات قابلة للاختبار الميداني.

3-أغراض(أهداف) البحث العلمي:

تتنوع أغراض البحث العلمي الاجتماعي باختلاف أهداف القائمين عليه و الموضوعات المعالجة و المستوى الأكاديمي المطلوب وقد اهتم بعض المتخصصين بتعدادها لتسيير تقييم مشاريع البحث الاجتماعي وطمأنة طلابها، ويعتبر ما قدمه ابن خلدون في مقدمته ، باسم " مقاصد التأليف " من أشهر ما يستشهد به في هذا المجال:

- **إنشاء معدوم:** أي استنباط جديد و تحقيق إضافة علمية أو إبداع علمي، وهو أهم أغراض البحث العلمي الاجتماعي.

- **تعيين مبهم:** كتقديم شروحات حول أفكار أو مؤلفات علمية معينة استغلق فهمها، ومثال ذلك ما قد يقوم به بعض الباحثين من شرح لبعض النظريات أو الإسهامات الفكرية لمفكر أو باحث ... فتصل الفائدة لمستحقها.

- **تبيين خطأ:** بعد العثور عليه في منتجات المتقدمين ممن اشتهر فضلهم وذاع صيتهم، فيقف على بيان ذلك وتوثيقه بالبرهان الواضح.

- **إكمال ناقص:** أي العمل على استكمال أي نقص يمكن أن يلحظه الباحث في تخصص علمي معين أو في بعض مسائله النظرية أو المنهجية فيعمل على تداركه وتبيان جدواه.

– **ترتيب مخلط (غير مرتب):** فقد تكون بعض المسائل العلمية قد وقعت غير مرتبة في أبوابها ولا منتظمة فيقصد المطلع على ذلك أن يرتبها ويهذبها، ويجعل كل مسألة في بابها.

– **جمع متفرق:** من مسائل علمية مفرقة في أبواب علوم أخرى فيتنبه الباحث إلى ذلك فيقوم بجمعها و تنظيمها تحت مسمى علمي أصلي أو فرعي جديد.

– **تهذيب مطول:** وهو يقتصر طبعا على اختصار و إيجار المطولات في أمهات العلوم و الفنون، ويقصد بذلك التلخيص وحذف المتكرر إن وقع، بغية تفعيل تبليغ محتوياته المرجعية وتعميم فوائدها، مع الحذر من حذف الضروري لئلا يخل بمقصد المؤلف الأول.

– **تفصيل مجمل:** وهو غرض يناقض سابقه إجرائيا، إذ يلجأ المهتم به إلى تقديم شروح وتفصيلات تزيد من عدد المستفيدين من المؤلف(مثال ذلك: شرح المعلقات السبع)، كما قد يتداخل مع الغرض الثاني(تبيين مبهم) سابق الذكر ... .

فهذه جماع المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف و مراعاتها، وما سوى ذلك من انتحال ببعض التلبيس من تبديل الألفاظ وتقديم المتأخر وعكسه، خطأ عن الجادة.

وقد أشار "حاجي خليفة" في القرن السابع عشر الميلادي إلى أن أغراض البحث أو التأليف تقع في مراتب ، وحسب تعبيره "لا يؤلف عاقل إلا فيها" ،وهي على النحو التالي:

أ– إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه ب– أو شيء ناقص فيتمه

ج– أو شيء مغلق فيشرحه د– أو شيء طويل فيختصره دون أن يخل بشيء من معانيه

هـ– أو شيء متفرق فيجمعه و– أو شيء مختلط فيرتبه

ز– أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه

إن البحث العلمي عملية هادفة ، وبالرغم أن لكل بحث أهدافا محددة خاصة به ، إلا أن البحوث العلمية على اختلاف أنواعها وتخصصاتها لها أهداف مشتركة ، وهي :

أ– وصف الظواهر: ويعني ذلك جمع البيانات المتعلقة بالظواهر والأحداث ،وتصنيفها وترتيبها ، و من أمثلة ذلك : أعداد العاطلين عن العمل ، ومعدلات الجرائم في المناطق المختلفة ،

والإحصائيات التي تصدر عن بعض الجهات ، وتجدر الإشارة أن الوصف بحد ذاته ليس هو الهدف النهائي للبحث العلمي ،بل هو الخطوة الأولى التي تمهد الطريق لتحقيق الأهداف الأخرى

ب- تفسير الظواهر: ويتضمن اكتشاف الأسباب التي أدت إلى حدوث الظواهر ، ويعتمد على التحليل والمقارنة والربط بين العناصر المختلفة للتوصل إلى معرفة الأسباب والعلاقات التي تربط بين الظواهر ، ومن الأمثلة على ذلك معرفة أسباب ارتفاع نسبة البطالة أو العوامل التي تؤدي إلى ارتفاع معدلات الجرائم وغيرها .

ج- التنبؤ بالظواهر: لا يكتفي البحث العلمي بوصف الظواهر وتفسيرها ،بل يتجاوز ذلك إلى محاولة التنبؤ بما ستكون عليه في المستقبل ، وذلك على ضوء التفسيرات والتعميمات التي تم التوصل إليها ، فالتنبؤ بمعدلات البطالة يستند إلى معرفة العوامل التي تحكمها كحجم الاستثمارات والانتعاش الاقتصادي وأنظمة التعليم والتدريب المهني وغيرها ،وغني عن القول أن التنبؤ في العلوم الاجتماعية والإنسانية أمر صعب ونسبي وغير دقيق كالعلوم التطبيقية .

د- الضبط أو السيطرة على الظواهر: ويعني التحكم في العوامل التي تحكم الظواهر ، وتؤدي إلى وقوعها أو تمنعها من الوقوع ، وإذا كان ضبط الظواهر الطبيعية ممكنا في الغالب ،نظرا لأن العوامل التي تحكمها محددة وثابتة ،فان ضبط الظواهر الاجتماعية والإنسانية كالسلوك صعب نسبيا نظرا لتعقد الظواهر الاجتماعية والإنسانية ،وصعوبة تحديد العوامل المتعددة التي تحكمها .

4-خصائص البحث العلمي: يتميز البحث العلمي بجملة من الخصائص، أهمها ما يأتي:

-**المنهجية:** أي أنه ليس تكديسا للمعلومات و البيانات و الشواهد، أو صرفا للجهد و الوقت و المال دون ناظم ينتظمها، بل البحث الذي يتصف بصفة العلمية هو ذلك الذي يسير فيه الباحث من مرحلة إلى أخرى مستخدما المنهج العلمي وتقنياته، وخاصية المنهجية تتيح لباحث آخر التحقق من النتائج المتوصل إليها و الحكم على دقتها وعلميتها، باستخدام نفس القواعد و الإجراءات التي اتبعها باحث آخر في دراسته لنفس الموضوع.

-**الموضوعية:**وتعني أن يتجرد الباحث من كل ما من شأنه أن يشوه الحقيقة العلمية المتوصل إليها، كالأهواء و الميولات الشخصية أو الرغائب المادية .... لأن هدف البحث وغايته المرجوة

هي الوصول إلى الحقيقة ودور الباحث هنا هو أن يبرز لنا هذه الحقيقة و الطرق التي توصل بها إليها من دون تحيز ... أو انتصار لمنفعة ذاتية.

-**التنظيم:** إن من المعروف أن كثيرا من الحقائق العلمية قد توصل إليها الباحثون من طريق المصادفة البحتة (كاكتشاف البنسلين، و أشعة x ...) أي من دون تنظيم مسبق، إلا أنه يبقى لعنصر التنظيم و الإعداد دوره الحاسم في البحث العلمي و صناعة المعرفة، فالنشاط البحثي نشاط منظم و مخطط، وقبل أن ينخرط أي باحث في هذا النشاط فإنه يعد خطة منظمة يطلق عليها " مشروع البحث "، ثم يبدأ في تنزيلها عمليا، بل إنه حتى في حالة المصادقة كان للباحثين دورهم – بفضل عقولهم المنظمة و المهيأة – في إضفاء معنى علمي على نتيجة الأحداث التي تمت بالمصادفة.

-**الدينامية (الحركية):** أي أن البحث العلمي ينطوي على تجدد دائم واستبدال متواصل للمعرفة القديمة بمعرفة جديدة، فأقوى قوانين العلم وبياناته استمرت على أكثر تقدير عدة قرون وتم تعديل بعضها أو استبداله ، ويمكن أن نضرب مثالا على ذلك بالهندسة الاقليدية حيث أثبتت الهندسة الحديثة خطأ كثير من مسلماتها.

وبالإضافة إلى هذه الخصائص المهمة يتحدث باحثون آخرون عن خصائص أخرى من قبيل أن البحث العلمي: نظري "theoretical" وتجريبي "empirique" و عام"public" و تفسيري"explanatory" و اجتماعي"social" ...

وهناك من يرى أن البحث العلمي يجب أن تتوفر فيه عدة خصائص ، والتي منها :

- التبويب والتصنيف والتخصص - التحليل والدقة - أنه مرتبط بإشكالية

- أنه تحري للمعلومات - أنه بحث عن الأسباب - أنه تحري للموضوعية

ومن خصائص البحث العلمي أيضا :

أ- البحث العلمي بحث منظم ومحدد...

ب- البحث العلمي حركي وتجديدي...

ت- البحث العلمي بحث تفسيري...

ث- البحث العلمي قابل للتعميم...

ج- البحث العلمي يجمع بين النظرية والتطبيق ، فهو من جهة ينطلق من إطار نظري محدد يستعين به الباحث حتى يكسبه فهما أعمق لموضوع بحثه ، ومن جهة أخرى فهو بحث ميداني لأنه يهدف إلى اختبار الفروض وجمع البيانات المتعلقة بالموضوع ميدانيا .

ومن هنا تأتي العلاقة بين النظرية والتطبيق ، هذه العلاقة التفاعلية (علاقة التأثير والتأثر)،لأن النظرية توجه الباحث وتساعده في تفسير البيانات استنادا إلى مرجعية نظرية محددة ، والبحث يثري النظرية بما يتوصل إليه من نتائج قد تكشف عن بعض الثغرات أو النقائص في النظرية مما يؤدي إلى إثرائها أو تعديلها.

هذه بعض خصائص البحث العلمي، وهي خصائص عامة تنطبق على جميع أنواع البحوث سواء كانت بحوثا في العلوم الإجتماعية أو العلوم الطبيعية.

ولعل الفارق الأساسي بين البحث في العلوم الطبيعية و البحث الاجتماعي يكمن في أن هذا الأخير يهدف إلى الحصول على المعرفة بغية خدمة أغراض اجتماعية، وينطلق في الأساس من مشاكل اجتماعية واقعية، كالانحراف، و الإرهاب، والطلاق و العنف ... الخ. أما البحث في العلوم الطبيعية فهو يهدف إلى الحصول على المعرفة للكشف عن أسرار الطبيعة وفهم العالم بغض النظر عن كونه جميلا أو قبيحا خيرا أو شرا.

ومهما يكن فإن أهم عامل مشترك بين البحوث، سواء كانت نظرية أو ميدانية اجتماعية أو طبيعية يتمثل في استخدامها للمنهج العلمي .